

لقاء قناة الفرات بالدكتور إبراهيم الجعفري
بتاريخ 2010/2/11
(الجعفري يرسم ثوابت المرحلة القادمة)

المقدم: أبدأ معك أولاً من قطب الدائرة.. ما هو تيار الإصلاح الوطني؟

الجعفري: تيار الإصلاح الوطني من خلال اسمه هو تيار يختلف في هيكليته عن الأحزاب؛ لأنه يتمتع بعمق نخبوي، لكن له آفاق امتدادية ذات طابع طيفي لمختلف الشرائح الاجتماعية، وهو إصلاح يستهدف معالجة ظواهر الفساد التي بُثت في أوساط المجتمع المختلفة، وحتى في الهيكلية السياسية والهيكل الأخرى، وهو وطني يهّم العراقيين جميعاً؛ لذا طبيعة هذا التيار برزت من خلال طبيعة مهمته.

المقدم: لماذا تيار وليس حزباً، وكما هو معلوم أن التيار ليس لديه صيغ معينة للتنظيم، وليس هناك اشتراطات معينة للانتماء.. لماذا لم يكن حزباً، وأنت لك تجربة حزبية سابقة؟

الجعفري: في تقديري أن الحزب له خصوصياته، وله مجالاته في الحركة والحاجة اليوم ماسة لطبيعة التيار؛ لأننا لا نعيش مرحلة المعارضة ومرحلة الحصار والقمع والدكتاتورية إنما نعيش في أفق منفتح، ونستطيع أن نعمل، ونكون في تماس مع الجماهير، وعادة تحاول الأحزاب خصوصاً في مثل بلداننا وليس في الخارج أن تدفع عن نفسها غائلة الملاحقة؛ فتعتمد إلى أسلوب سري يأخذ صفة وهيكلية حزبية هذا جانب، والجانب الآخر لأننا في مرحلة اندحار الدكتاتورية وانفتاح على الجماهير؛ فحتى لا نبقي في إطار النخبة، ونمتد إلى الشرائح المجتمعية المتنوعة الأخرى لابد أن نطور هويتنا بتحويلها عملياً من كونها حالة نخبوية حزبية إلى حالة شعبية عامة.

المقدم: لو كان تأسيسكم لهذا التيار في ظرف غير هذا الظرف في المعارضة أو غيرها كما تقول باعتبار أننا لسنا الآن في معارضة لأصبح حزباً؟

الجعفري: أقرب إلى طبيعة الحزب، وإن كنا نسمح بأن يتحول إلى حالة تيارية لكن أجواء المعارضة لا تنفتح بسهولة على الحالة التيارية، وأجواء المعارضة يصاحبها في المقابل القمع والملاحقة؛ فحتى يحفظ الكيان نفسه لابد أن يتدرّج بالأطر الحزبية، وربما يكون في مرحلة السرية، هذا ليس بالضرورة نابعاً من أهدافه أو أفكاره، وإنما يريد أن يتقي غائلة الحكم أو ملاحقة الحكومة، فالناس تستلهم الفكر الصحيح، والكيان الصحيح، وتحوله إلى تيار، لكن تستلهمه، وتقبله كنتيجة بعد مرور عقود من الزمن، وأحياناً تنطلق بالتيار.

المقدم: أنت تحصر مفهوم الحزب في موضوعة المعارضة وغائلة السلطة وحماية النفس، لكن حتى في الأدبيات الإسلامية أن في ذلك مجالاً كبيراً ألا تعتقدون أن العمل الحزبي والعمل التنظيمي يسعى إلى خلق قاعدة قادرة على تغيير الواقع، ولماذا جانب المعارضة وجانب دفع غائلة السلطة؟

الجعفري: إحدى مبررات وجود الحزب والتمسك بالسياقات الحزبية هي لأنه لا يستطيع أن يدفع عن نفسه في مرحلة المعارضة؛ فيميل إلى حفظ أعضائه، ويدّرّ عنهم، ويردّ عنهم الخطر، فالحالة السرية النخبوية، والثقافة المعمّقة، والحركة المحددة والمحسوبة، واللقاءات خلف الستار أقرب إلى طبيعة الحزب.

المقدم: هل تيار الإصلاح الوطني تيار ديني، أم ليبرالي، أم أي توصيف آخر؟

الجعفري: نحن نسمّيه وطنياً، وعلى المستوى الفكري يتشرّف بأن يمثل حالة تلتقي فيها الديانات والمذاهب الدينية والمذاهب الاجتماعية كذلك، ويستوحي أفكاره وقيمه من الإسلام الحنيف، ولا ينعزل بحاضره عن تاريخه، وتاريخ شخصياته، ويلبّي احتياجات الزمن، ويحاول أن يسابق الزمن.

أعتقد أن هناك مشتركات بين الكثير من الاتجاهات المجتمعية المختلفة، والأفكار والأحزاب والحركات المختلفة، ونحن في أمسّ الحاجة لأن نطوّر نظرياتنا اليوم على ضوء التطوّر الذي حصل، فنظرياتنا الإسلامية بحاجة لأن نطوّر ها مع مراعاة الثوابت الفكرية فيما يتطلبه الواقع من ثوابت ومراعاة المتغيرات.

المقدم: هل هناك غطاء لأن يكون التيار ضمن الحركة الدينية أو الفكر الديني أو يوصف بأنه تيار ديني، هل يوجد غطاء شرعي لأن يكون تياراً دينياً مثلاً؟

الجعفري: هذه التيارات وسمّها ما شئت مادامت تتمسك بالثوابت الدينية، ولا تخرم، أو تتناقض مع الدين، وتسبح، وتنفس برئة مفتوحة، بقيم وأفكار لا تتعارض مع الدين، وتنسجم مع العلم، ويبعثها على أن تتطور مع الحياة، وتستلهم القضايا الجديدة.

المقدم: إذن التيار له قاعدته الدينية، لكن يبحث عن المشتركات مع الأفكار الأخرى التي تشكل حالة التطور لمجمل المجتمع؟

الجعفري: إذا فهيمت القاعدة الدينية بأنها القيم والأفكار الدينية بثوابتها ومتغيراتها.

المقدم: أعني بالدين أنه يتبنى الفكر الإسلامي؟

الجعفري: يتبنى الفكر؛ لأنه يعتقد أنه يوفر له انطلاقة لبناء دولة عصرية، وينفتح على الإنسان الآخر، ولا يعاني من أزمة نظرية، ويطبقها على الآخرين، ولديه في كل شيء وجهة نظر.

المقدم: ماذا يعني الإصلاح في تياركم.. هل هو إصلاح يختص بالمرحلة التي أعقبت التغيير، أم إصلاح ضمن عام 2003 إلى اليوم؟

الجعفري: الإصلاح يعني معادل الفساد، وهو كلي لا يتجزأ، ويبدأ حيث يبدأ الفساد، وينتهي بانتهائه.

المقدم: ألا تعتقد أن هذه المهمة كبيرة بالنسبة لتيار في ظرف مثل نشأته، وفي ظرف العراق تحتاج إلى كتابة منهج تثقيفي؟

الجعفري: عندما أعلن تيار الإصلاح عن نفسه في 2008/5/31 لا يعني أن الفكر الإصلاحى والسلوك الإصلاحى بدأ مع بدايته، فالإصلاح عملية أشمل وأوسع وأسبق، لكن تيار الإصلاح جاء ليلتي حاجة ميدانية ضرورية؛ لأن الفساد أصبح ذا لون صارخ، فاحتجنا إلى آليات فاعلة وناشطة، لا تندب فقط حالة الفساد، وتبكي على الأطلال إنما تأخذ على عاتقها معالجة هذا الفساد.

المقدم: سعيتم في الائتلاف الوطني، أو حاولتم، أو قمتم بجملة من الأمور من أجل دمج ائتلاف دولة القانون أو الخروج بائتلاف واحد، ولم يكن هناك استجابة من الطرف الآخر، لكن في زيارة رئيس الحكومة المالكي إلى النجف الأشرف الأخيرة صرح بأنه سيكون هناك تقارب بعد الانتخابات، لم تواجهه رغبته هذه وطرحه من الائتلاف الوطني العراقي بقبول واضح، أو بتلقٍ واسع؛ لماذا، وكيف تعلق على ذلك؟

الجعفري: نحن منذ البداية جعلنا الباب مفتوحاً أمام ائتلاف دولة القانون وأي قوة أخرى تريد أن تتعامل مع الائتلاف الوطني العراقي، مادامت مفوضية الانتخابات تسمح به، وأنا أقدر تمسكهم ببعض النقاط سواء في بعض الشروط التي طرحت أو النسب التي أرادوا مراعاتها أو مواقع معينة، لكننا لدينا ثوابت التقينا عليها، من جملتها: رفضنا أن تكون هناك فروض مسبقة أو رفض مسبق.

المقدم: يصف الكثير من المراقبين تجربة الحكومة الماضية بأنها كان يشوبها شيء، ما هو برأيك سبب هذا الاعتقاد؟

الجعفري: بعضها بصراحة نتيجة الظروف التي أحاطت بالحكومة، ومنها: الإرهاب، ووضع التجربة، وكونها في بداية سلّم الارتقاء، والتحديات التي واجهتها عقلية تصميم الحكومة والمحاصصة، وعملية الشدّ بين البرلمان والحكومة وبين تجربة الإخوة الذين تصدّوا للحكومة.. كل هذه العوامل أدّت إلى هذه النتيجة.

المقدم: كثير من المراقبين والسياسيين يعتقدون أن تجربة الحكومة على مستوى الأداء والتنفيذ كان يشوبها كثير من الأخطاء وأنها غير موفقة، وآخرون يقولون: إنها لم تقم بشيء مهم أو متميز.. كيف تعلق على ذلك، وهل هذا التوصيف دقيق؟

الجعفري: ليس سرّاً على أحد أن المواطن الاعتيادي يقيّم الحكومة بمستوى الخدمات التي تقدّمها، فإذا بقي مستوى الخدمات على حاله أو تدنّى، وقُلّ مثل هذا في الوضع الأمني.. فعندما حصلت بادرة التحسّن أشير إليها، لكن عندما حصل تراجع شعر المواطن بالتردي الأمني، ولا يوجد شيء كيديّ بمقدار ما هو حسّ وجدانيّ لدى المواطن؛ فكل شيء ينعكس عليه سلباً أو إيجاباً، ولا أنحوا بها على الحكومة فقط؛ لأنني أعتقد أن دائرة الحكم أوسع من دائرة الحكومة؛ لذا أنا أعتبر كل السياسيين العراقيين معنيين بذلك، فعندما سقط صدام في 4/9 سقط معه الجهاز التنفيذي؛ لأنه كان موروثاً من القبلية الصدامية، وكان فاسداً، ويعتدي على المواطنين، نعم.. والحكومة الحالية ليس لديها عصا سحرية تشكل بها جهازاً تنفيذياً متكاملًا، وبين ليلة وضحاها تتعيد الخدمات، وتجعلها على أتم وجه.

المقدم: تميل استطلاعات الرأي الآن إلى الائتلاف الوطني العراقي بأنه سيحقق شيئاً ما، أو يحقق نسبة كبيرة من الأصوات، ما السبب برأيك؟

الجعفري: حين يرتفع نبض الشارع تجاه جهة معينة، بناءً على وعي هذه المؤشرات أعتقد أنها طيّبة، وهذه هي حلاوة الديمقراطية، كما أعتقد أن الوعي السياسي للشعب العراقي باطراد، وهو اليوم ليس كما كان في الانتخابات السابقة، وليس كما كان في أول سقوط نظام صدام، وهذه ظاهرة صحية، وهي الطريقة القرآنية: ((فبشّر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه)) ((ختمها مسك وبذلك فليتنافس المتنافسون)).

المقدم: هل تعتقد أن الائتلاف سيشكل الحكومة القادمة؟

الجعفري: هذا طموح مشروع، فأمامه فرصة طيبة بأن يحتل موقعاً متقدماً، وقد يشكل الحكومة المقبلة؟

المقدم: من في رأيك أقرب الحلفاء إليكم من الكتل السياسية؟

الجعفري: أعتقد أن دولة القانون قريبة جداً منا.

المقدم: إذا كان دولة القانون، هل ستكون هناك اشتراطات ما، أو التزامات تبادلية؟

الجعفري: يوجد وجهان للغة الشرط، هناك شرط عبارة عن تحقيق مكسب، وتعطيل عمل، وهناك شرط عبارة عن مستلزمات عمل، مثلاً: حين نريد ان نأتي برئيس وزراء، هل من الصحيح أن نجعل من البرلمان خندقاً مقابل رئاسة الوزراء، أم نقول له: نحن نسندك، ونقدم لك خططاً وفي الوقت نفسه نريدك أن تكون قوياً، وعندما تخطئ نصوبك، وعندما تذهب بعيداً نحاسبك، وعندما - لا سمح الله - تتعمد، وتعجز فنحن نطلب تغييرك، فهذه مستلزمات عمل، وهي الأقرب إلى الصواب.

المقدم: تجربة رناستكم للحكومة التي كانت في مرحلة دقيقة وحساسة ومعقدة.. ما الذي خرجت به من هذه التجربة، وما أبرز المشكلات التي واجهتكم؟

الجعفري: ما خرجت به أني عملت على تنفيذ طموحي وهو أن أؤسس لدولة عراقية بعيداً عن الحسابات الآنية، واعتمدت على شيء اسمه تفعيل القانون، وقد قلت لزملائي وإخواني وأعزائي نواب رئيس الوزراء والوزراء: أنتم لستم قانونيين، وحكومتنا ليست حكومة قانونيين، لكن أريدها أن تكون حكومة قانونية، فكل شيء وفق القانون والدستور، وهذا تثبتته أساساً، وعملت على مكافحة الفساد، والمحاصصة والتخلص من المعايير الطائفية والحزبية والقومية.

المقدم: ما هي المشكلات التي واجهتها بصراحة؟

الجعفري: الوضع الأمني كنا في بداية الأمر قد تجاوزناه وحتى المفاجآت الإرهابية التي حدثت كجسر الأئمة وسامراء، وحولناها إلى عرس وطني تجلّى فيه الوجه المشرق للشعب العراقي وللحكومة، والطوابير الطويلة على التبرعات التي كان

الناس يقفون فيها وإصرارها على العملية السياسية وتصرّ على الانتخابات والدستور، في أجواء جسر الأئمة، وفي سامراء على الرغم من أن الحكومة حكومة تصريف أعمال.

المقدم: هل كان تنازلكم عن رئاسة الوزراء لمصلحة وطنية في رأيك، وهل تحققت؟

الجعفري: كنت أدرك خطراً عن الشعب العراقي وعن الائتلاف، وعندما تنأى إلى سمعي مباشرة أن أحد أقطاب الائتلاف سألته إحدى السيدات، قالت: إن ذهبنا إلى البرلمان، وسألونا عن القضية الفلانية فبماذا نعبر عن رأي الائتلاف، فأجابها: اعتبري الائتلاف انتهى.. هزّنتي هذه الكلمة من الأعماق، ففكرت في أنه يجب أن أعمل ما يحفظ وحدة الائتلاف، وحتى لا ينعكس على الشعب العراقي، فالقرار اتخذته لوحدي، وأنا أتحمل مسؤوليته، ولم يكن تنازلاً حتى أقوى الائتلاف لذلك عبّرت بالخطاب، بأنني أعيد الأمانة إلى الائتلاف؛ ليرى رأيّه في ذلك.

المقدم: وتحقق رأيّه ليرى هذه المصلحة؟

الجعفري: في تلك القراءة - الحمد لله - تصرّفت ملتبساً لحاجة وطنية وحاجة ائتلافية، ولست نادماً على هذا الموقف، لكن عندما تسألني عن الذين خططوا لأن نصل إلى ما وصلنا إليه، يُفترض أن يُجيبوا هم عن هذا السؤال، والأفضل أن ترك هذا الأمر للتاريخ.

المقدم: هل تطمح للرئاسة مرة أخرى؟

الجعفري: أنا لا أطمح لأن أحتلّ موقعاً، لكن لا أرضى لنفسي بأن أخذل شعبي، فأنا نذرت نفسي من أجله، فعندما يشير إليّ شعبي بالمسؤولية أتصدّى لها ليل نهار.

المقدم: ما أبرز إنجاز تعتزّ به؟

الجعفري: الحفاظ على وحدة العراقيين، وقد عبّرت عن الوحدة الوطنية والاستقلال، والسيادة العراقية، وعدم المحاباة بين المواطنين، ومكافحة الفساد.

المقدم: من خلال تجربتك في مجلس الحكم والحكومة المؤقتة ورئاسة الحكومة والآن في تيار الإصلاح، ما هي في رأيك الحكومة الناجحة التي تنهض بالواقع العراقي، وتكون فعلاً ناجحة، وما هي مواصفاتها، وما شروطها، وما شكلها لدى الدكتور الجعفري؟

الجعفري: دراسة تجربة الحكومة الانتقالية لعام 2005 كانت حكومة وطنية بكل معنى الكلمة، وحكومة وحدة وطنية تعاملت مع مكونات الحكومة الانتقالية كحكومة وطنية حقيقية وبعضهم يُكمل الآخر، ولم يخاصم الحكومة أحد، ولم يغيب أحد، أو ينقطع عن الدوام، وكان كل وزير يعتقد في نفسه أنه جزء من مجلس الوزراء، فيؤدي دوره كوزير وعضو في مجلس الوزراء إدارياً وسياسياً، وأعتقد أن كل تجربة يُراد لها أن لا تستغني عن الآخر، ولا تفكر أي حكومة أن تكون حكومة حزب في مجلس الوزراء بل حكومة العراق في مجلس الوزراء.

المقدم: ما أبرز ملاحظتكم على الحكومة الحالية على مستوى الأداء والإدارة والموقع الأول؟

الجعفري: بالنسبة للموقع الأول أقول: أعانه الله على التحديات الداخلية والخارجية والمحاصصات التي تحيق به.. وبالنسبة لأداء الحكومة الحالية فمستوى الخدمات لا يزال بعيداً عن الطموح، ومستوى الوضع الاقتصادي وإنعاش الوضع الاقتصادي للناس لا يزال بعيداً عن مستوى الطموح، والوضع الأمني - مع الأسف الشديد - بدأ يتدنّى، ويجب أن نتعاون مع الحكومة من أجل مسك الوضع الأمني؛ لأن هذا يهم كل المواطنين.